

أضواء البيان

@ 437 أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ قَالَ كَلَّا فَادْهَبْ بِأَيَاتِنَا إِنَّ نَسَآ مَعَكُمْ مُسْتَمْعُونَ فَأَوْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّ نَسَآ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ { فهذه الآيات تبين أنه سأل ربه أن يرسل معه أخاه ، فأجاب ربه جل وعلا سؤاله في ذلك . وذلك يبين أن الهبة في قوله : { وَوَهَيْنَا } هي في الحقيقة واقعة على رسالته لا على نفس هارون ، لأن هارون أكبر من موسى ، كما قاله أهل التاريخ . قوله تعالى : { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّ نَسَهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا } . أمر اﷻ جل وعلا نبيه صلى اﷻ عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن يذكر في الكتاب وهو هذا القرآن العظيم (جده إسماعيل) ، وأثنى عليه أعني إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً . ومما يبين من القرآن شدة صدقه في وعده : أنه وعد أباه بصبره له على ذبحه ثم وفى بهذا الوعد . ومن وفى بوعده في تسليم نفسه للذبح فإن ذلك من أعظم الأدلة على عظيم صدقه في وعده . قال تعالى : { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى الْوَمَنَامَ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَآبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } فهذا وعده . وقد بين تعالى وفاءه به في قوله : { فَلَمَّا أَتَاهَا أُسْلِمَهَا وَتَلَّهَا لِجَابِينَ } . والتحقيق أن الذبيح هو إسماعيل . وقد دلت على ذلك آيتان من كتاب اﷻ تعالى دلالة واضحة لا لبس فيها . وسنوضح ذلك إن شاء اﷻ غاية الإيضاح في سورة (الصافات) . وثناؤه جل وعلا في هذه الآية الكريمة على نبيه إسماعيل بصدق الوعد يفهم من دليل خطابه أعني مفهوم مخالفته أن إخلاف الوعد مذموم . وهذا المفهوم قد جاء مبيناً في مواضع آخر من كتاب اﷻ تعالى . كقوله تعالى : { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُوا اللّٰهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَآ كَانُوا } وقوله : { يَآيُسُفَا السَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } إلى غير ذلك من الآيات . وفي الحديث : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان)
وقوله تعالى في هذه الآية : { وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ }
وَالزَّكَاةِ { ، قد بين في مواضع آخر أن نبينا صلى اﷻ عليه وسلم كان يفعل ذلك الذي

أثنى الله به على جده إسماعيل ، كقوله تعالى : { وَأَوْمُرْ أَهْلَكَ بِإِلَاحِ الْوَالِدِ
وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهِمَا } . ومعلوم أنه امتثل